رأي القدس

حركة «حماس» والمنزلق الخطير

■ يخوض المسؤولون في حركة المقاومة الاسلامية «حماس» حرباً اعلامية شرسة هذه الايام هدفها نفي اجراء اي اتصالات مع مسؤولين اسرائيليين، وخاصة في العاصمة البريطانية لندن، ولكن يبدو انها حرب من الصعب كسبها، لان الضرر قد وقع، وبعض المعلومات عن هذه اللقاءات تنطوي على بعض الصحة ان لم يكن كلها. فلا يوجد دخان بلا نار.

السيد نايف حواتمة الأمين العام للجبهة الديمقراطية فجر قنبلة الاتصالات هذه في حوار مع قناة «الجزيرة» الفضائية، عندما قال ان مسؤولين من حركة «حماس» التقوا مسؤولين اسرائيليين على مدى اربعة اشهر في لندن واعدوا وثيقة سموها «وثيقة جنيف الحمساوية».

الدكتور موسى ابو مرزوق نائب رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس» سارع الى نفي هذه الاتصالات، ولكنه لم ينف وجود «وثيقة سلام»، وقال انها عبارة عن مقترحات قدمتها شخصيات سويسرية الى الدكتور احمد يوسف مستشار رئيس الوزراء الفلسطيني، والدكتور محمد المدهون رئيس ديوان رئاسة الوزراء في الثامن عشر من حزيران (يونيو) الماضي، وهي عبارة عن افكار سويسرية ونتاج حوار لفريق مختص بشؤون الشرق الاوسط.

كلام الدكتور ابو مرزوق ربما يكون صحيحا، ولكن الصحيح ايضا ان الدكتور احمد يوسف زار لندن اكثر من مرة والتقى مسؤولين امنيين وسياسيين بريطانيين، ومن المؤكد ان هذه اللقاءات ما كانت ان تتم لولا وجود «مرونة» من طرف «حماس» تجاه بعض المقترحات البريطانية السلمية، وهي مقترحات جرى التشاور حولها مع الدولة العبرية، لان بريطانيا تنسق دائما معظم خطواتها مع المسؤولين الاسرائيليين، ومبعوث بلير الى الشرق الاوسط هو اللورد ليفي وهو من اصل يهودي ومعروف بعلاقاته الوثيقة مع الحكومة الاسرائيلية، وعمل احد ابنائه في مكتب رئيس الوزراء الاسرائيلي.

انخراط منظمة التحرير الفلسطينية في المفاوضات مع الدولة العبرية بدأ بالطريقة نفسها، اي اجراء لقاءات سرية مع اكاديميين اوروبيين اولا ثم بعد ذلك مع اكاديميين اسرائيليين، تطورت الى مفاوضات اوسلو السرية. لا نريد القول ان «حماس» تسير على النهج نفسه، ولكن يبدو ان هناك تيارا داخلها يحبذ مثل هذا التوجه ويشجعه، خاصة من قادة الحركة في الداخل، وقطاع غزة على وجه التحديد.

الاجتهاد السياسي مطلوب، طالما انه في اطار استراتيجية شاملة متفق عليها، وحركة «حماس» حركة سياسية الى جانب كونها حركة مقاومة، وخاضت انتخابات تشريعية فازت فيها بأغلبية مقاعد المجلس التشريعي، اي انها تملك تطلعات سياسية مثل اي حركة فلسطينية او عالمية اخرى.

الخوف هو ان يفقد هذا الاجتهاد، الذي يأتي في غير زمانه ومكانه الحركة هويتها التي جعلت الملايين تلتف حولها وترى فيها البديل المتمسك بالثوابت الفلسطينية.

فالانطباع الذي بدأ يسود الآن في بعض الاوساط الفلسطينية مفاده ان بعض قادة الحركة اصبحوا طلاب سلطة، وباتوا يقدمون مغرياتها على الكثير من القيم والثوابت، ويخشون ان تؤدي هذه المغريات الى انحرافها. فالشعب الفلسطيني ينظر الى قادة الحركة على انهم مجموعة من النساك المتواضعين طالبي الشهادة والانتقال الى دار البقاء، والاعراض عن مباهج الدنيا الفانية. وربما تهتز صورة الحركة عندما يرى هذا الشعب قادتها يركبون الطائرات الخاصة ويتجهون الى الحج، او يسافرون سرا الى لندن وجنيف بحثا عن حلول واعترافات من اوساط اوصلت منظمة التحرير وحركة «فتح» الى النهاية المأساوية الحالية.

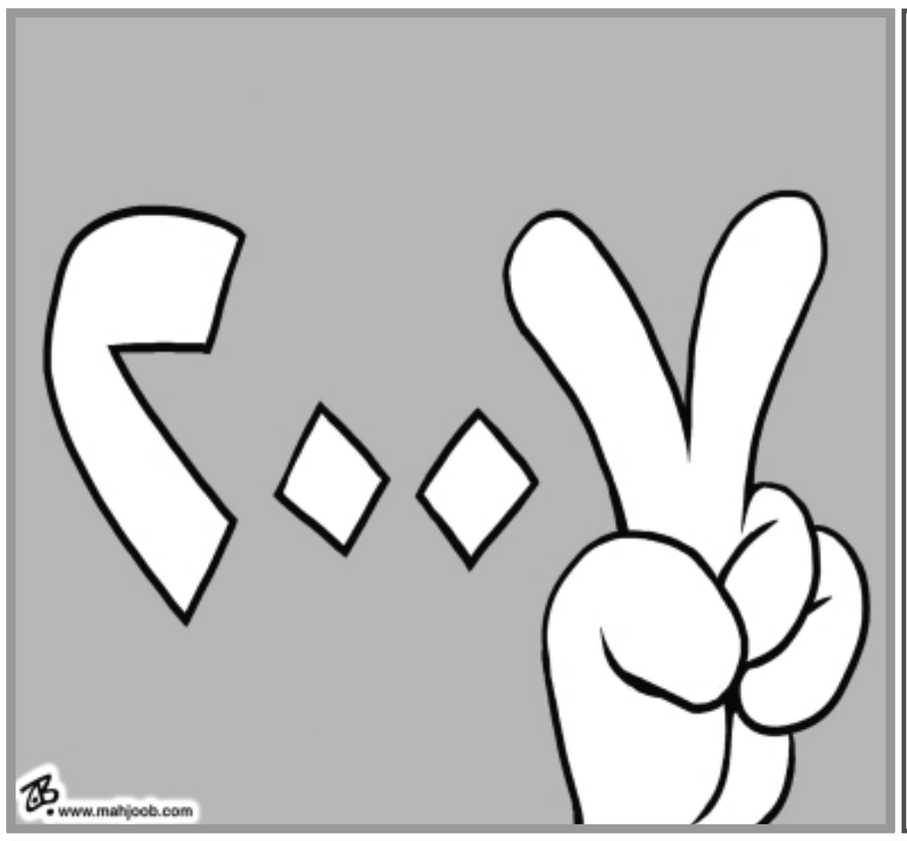

عام التنظيمات الجهادية الاسلامية

حكم البابا

■ اذا كان عام 1991 قد شهد سقوط الاتحاد السوفييتي وانهيار منظومة الدول الاشتراكية التابعة له، ونهاية المشروع الأيديولوجي لفكرة الأممية الشيوعية في العالم كلّه، فان عام 2006 الذي ينتهي اليوم يستحق أن يسمى بعام موت القومية العربية ذات الطروحات المدنية كفكرة وكمشروع بعد صراع طويل مع المرض، لصالح الأيديولوجيا الدينية الاسلامية التي أكدت في هذا العام سيطرتها الكلية على المنطقة العربية نهائياً، وألحقت بها بقايا القوى الشيوعية والعروبية التي تتقاطع معها فكرياً في موضوع العداء لـ«الغرب الاستعماري».

فرغم أن فكرة القومية العربية قد بدأت بالانهيار فعلياً بعد هزيمة نظاميها الرئيسين في نكسة حزيران 1967، الاّ أنها استمرت في المكابرة حتى مع خروج مصر من الصف العربي بتوقيعها معاهدة كامب ديفيد مع العدو الاسرائيلي، ثم توقيع الأردن اتفاقية وادي عربة، وتحولات العقيد القذافي الأفريقية، وانشاء منظومات بديلة عن فكرة الأمة العربية الواحدة كدول المغرب العربي ودول مجلس التعاون الخليجي، ونفي الفلسطينيين من الأردن الى لبنان، ثم تشريدهم بالجملة الى تونس، وبعدها اعادتهم بالمفرق الى جزء من الأرض الفلسطينية بشروط الاحتلال الاسرائيلي عقب اتفاق أوسلو، والغطاء العربي الذي قدّم للتحالف الدولي في حربه على العراق بعد احتلال للكويت، ومن ثم العجز العربي أمام الاحتلال الأمريكي للعراق، والخلافات العربية العربية التي كانت تصل الى حد حشد الجيوش على الحدود بين بلدين عربيين، واعتماد الولايات المتحدة الأمريكية كصوت مرجح في أي خلاف على أي قرار عربي، وظهور شعارات مثل مصر أو الأردن أو لبنان أولاً.

وخلال كل هذه الأحداث التي كانت تجري فيها ترقيعات لفكرة القومية العربية لم يكتب لها النجاح، مثل اعلان اتحاد الجمهوريات العربية ومحاولة الوحدة السورية العراقية، وتوقيع باقات من الاتفاقيات والمعاهدات الورقية بين مختلف الدول العربية لبث الروح في جثة هامدة.. خلال كل تلك الأحداث كان اسلام ولاية الفقيه (الحاكم) في ايران، واسلام الخلافة (المعارض) في الدول العربية ينشط بصمت داخل المجتمعات العربية عبر تقديم الرشاوى الأرضية والسماوية، بعد أن خسر الحسم العسكري عقب الحرب الايرانية العراقية، والمواجهات المسلحة للتنظيمات الجهادية الأصولية مع أكثر من سلطة عربية، ليعلن في عام 2006 انتصاره النهائي على القومية العربية ذات الطروحات المدنية كفكرة وكمشروع، ولـيلحق كل بقايا التنظيمات الشيوعية والقومية المعادية لـ«الغرب الاستعماري» بامرة تنظيم القاعدة في العراق وحزب الله في لبنان وحماس في فلسطين.

لا شك أن جزءاً هاماً من نجاح الاسلام الجهادي (بشقيه الخلافة وولاية الفقيه) يعود الى أن تنظيماتهما كانت تبذر وتزرع وتحرث في أرض تعرفها وتفهم كيفية التعامل مع تربتها، معتمدة على ارث ديني يمتد لمئات السنين، ولكن جزءاً آخر وهاماً من نجاحها يعود الى أنها استطاعت تقديم نصر ثأري أعاد شيئاً من الثقة للجماهير العربية كانت بحاجة اليه، على عكس التنظيمات القومية التي اكتفت بالحروب الاذاعية والتلفزيونية، فضرب أمريكا في عقر دارها في أحداث 11 سبتمبر (أيلول) ومن بعدها الضربات المؤلمة التي ألحقها تنظيم القاعدة العراقي بالجيش الأمريكي، والانسحاب الاسرائيلي من لبنان عام 2000 ومن بعده صمود حزب الله خلال العدوان الاسرائيلي على لبنان هذا العام، والعمليات التي أثبتت فيها حماس قدرتها على كسر هيبة اسرائيل، مكّن تلك التنظيمات من تملّك الشارع العربي، وجعلها القوى الحقيقية العظمى في المنطقة لسنوات طويلة قادمة، وحوّل كل المشاريع القومية العربية ذات الطروحات المدنية، الى شيء متحفي من الماضي، وجوده اليوم لايثير الاّ عاطفة الشفقة.

صدام يودع اخويه

احمد أبو صالح *

■ صدام يودع اخويه، والعملاء في العراق يودعون العروبة والاسلام والوطنية، والطغاة المستبدون «العرب» عبيد امريكا صم بكم عمي بخنوعهم سادرون، في العراق احفاد ابن العلقمي على انقاضه ودماء ابنائه يرقصون، وفي الوطن العربي اسباط ابي رغال اشرفهم على اعدام صدام حسين ساكتون، لا يخجلهم شجب واستنكار الكثيرين من شعوب العالم وقادتهم لانهم لا يخجلون، وانا كواحد من ابناء هذه الامة المنكوبة قوميا واسلاميا في كل مكان وخاصة في فلسطين والعراق وافغانستان والصومال، لا يسعني الا ان أحذر الخونة في العراق، المعادين لكل ما هو عربي، والخارجين على الاسلام، والمحترفين للخيانة والعمالة، بانهم سيلاقون مصيرا اسوأ بكثير مما يلاقون في الدنيا والآخرة فبئس المصير.

وفي هذه المناسبة اتذكر واذكر، ان ابنة احد اكاسرة الفرس دعا الناس لمشاهدة اعدام وزيره بزرجمهر، رفعت سترها قائلة انها ما كانت لتفعل لو رأت بين الجموع رجالا، لانهم ان وجدوا لما اعدم والدها.

كما اذكر اننا سنة 1963 لم نصادق في مجلس قيادة الثورة على احكام الاعدام الصادرة عن محكمة امن الدولة لاسباب على رأسها مداخلات ومناشدات شخصيات كثيرة منها جاك شيراك وعبد الناصر وخروتشوف، وتم العفو عنهم بعد مدة وسمح لهم بالسفر الى القاهرة مع قائدهم جاسم علوان الذي هو من بين الذين ما زالوا على قيد الحياة منهم. وبما ان الشيء بالشيء يذكر فها هو الرئيس الاسبق لسورية امين الحافظ يسرح ويمرح في حلب، وقد سبق ان حكم بالاعدام عليه سنة 1970.

واذكر ايضا انني قلت لطه ياسين رمضان بوجود آخرين منهم: امين الحافظ ومصطفى حمدون وعدنان سعد الدين ومحمد عمر برهان بأنني مستعد لتقبيل مواطئ اقدام الجيش العراقي الذي حمى عروبة المشرق العربي من وصول الفرس الى البحر الابيض المتوسط، الجيش الذي حله الاكاسرة الصغار بقيادة جورج بوش كسرى الكبير.

هذا ولا بد من القول: انك يا طالباني كنت سعيدا بمقابلة عبد الناصر سنة 1960 وكذلك بتقبيلك صدام حسين اكثر من مرة. وانك يا بارزاني لولا صدام حسين يوم حماك وحمى «مملكته» تلبية لاستغاثتك لكنت في خبر كان، وانتم يا هاشمي ويا مالكي ويا.... ماذا تدخرون لآخرتكم ان كنتم مسلمين.

اما انتم يا طغاة العرب وخونتهم فلا ترفعوا استاركم كما فعلت الحسناء لان وجوهكم ستظهر على حقيقتها سوداء حالكة وستكون كذلك يوم تبيض وجوه وتسوده وجوه.

*سياسي سوري يقيم في براغ

عن المؤتمر القومي الإسلامي

محمد عبد الحكم دياب *

■ انتهت قبل أيام أعمال الدورة السادسة للمؤتمر القومي الإسلامي بمدينة الدوحة عاصمة قطر، وكانت المرة الأولى التي أحضر فيها هذا المؤتمر، وإن كنت قد ترددت عند معرفتي بوجود نية لدعوتي، إلا أن الرأي قد استقر، في النهاية، على تلبية الدعوة، لأهمية التعرف على ما يدور داخل المؤتمر، وخلف كواليسه، والاقتراب من المناقشات والحوارات التي تجري فيه بين ممثلي تيارين، تطورت بينهما العلاقة، في السنوات الأخيرة، بشكل ملحوظ، ومن أجل تأكيد أو تبديد قلق يساور تيارات غير قومية وغير إسلامية، من هذا التطور، بعد أن كان أحد المنتمين لفصيل من فصائل اليسار المصري قد وصف هذا التطور بأنه توجه لظهور فاشية جديدة، وهو ما يفرض على قوى اليسار تأييد حسني مبارك ودعم نظامه لصد هذا الخطر الفاشي المُدّعَى!!.

وعلينا أن نضع تحفظنا من البداية، وهو أن المؤتمر ليس مؤتمرا جامعا للتيارات القومية والإسلامية، إنما يمثل قوى وتيارات وفصائل تلتزم بالعمل السلمي والديمقراطي في الدعوة إلى التغيير الداخلي، وإن كانت تؤمن بالمقاومة المشروعة، بكافة أنواعها، بما فيها الكفاح المسلح، ضد الغزاة والمحتلين والمستوطنين، وفي حدود علمي، لم يكن بين المشاركين من يمثل تيارات مهادنة وممالئة للاحتلال والغزو والاستيطان، في فلسطين والعراق ولبنان أو غيرها، أو تلك التي تستقوي بأطراف أجنبية ضد النظم التي تعارضها، ولا تلك «المصهينة» أو التي تشجع التطبيع مع الدولة الصهيونية، أو تلك التكفيرية والمتطرفة، التي تتخذ من العنف سبيلا للتغيير السياسي الداخلي، وتوظفه لإخضاع المواطنين إلى أيديولوجية واحدة، أو لفرض قيام دول طائفية أو عرقية أو مذهبية أو عشائرية، بديلا للدولة العربية القطرية. ومعنى هذا أن المشاركين يجمعهم السعي لتأكيد دور الدولة المدنية في تحديد العلاقة الداخلية بين الحاكم والمحكوم، وترسيخ نهج التحرير والمقاومة في التصدي للهجمة العنصرية الاستعمارية على الوطن العربي والعالم الإسلامي، وقد لمست ذلك في القضايا التي تضمنها «تقرير حال الأمة»، الذي وصل إلى المشاركين قبل الانعقاد، بمدة كافية، وبني على محاور سبعة هي تحديدا: «مقاربة استهلالية عن حقائق الانتقال من الصراع العربي الإسرائيلي إلى الإسلامي الغربي»، و«الواقع الفلسطيني واحتمالات المستقبل»، ومحور عن أوضاع العراق يحمل عنوان «مقاومة الاحتلال في واقعها ومرتجاها»، وآخر عن لبنان، حمل اسم «من التعايش إلى العيش المشترك في ظل الحرب مع إسرائيل»، ومحور السودان ركز على «تداعيات الأزمة في دارفور»، بجانب محور تناول إشكاليات الوضع في المغرب العربي، «مسألة الصحراء المغربية والثغرين المغتصبين»، ومحور أخير عن «أوضاع العرب والمسلمين في المغتربات».

وقد راعى تشكيل اللجان التركيز على الساحات الساخنة، فلسطين والعراق ولبنان والسودان والمغرب العربي، بالإضافة إلى لجنة لمعالجة «قضايا الحريات والديمقراطية» وأخرى لتطوير «العلاقة بين التيارين القومي والإسلامي»، وغاب عن اللجان ما ورد في «تقرير حال الأمة» عن أوضاع العرب والمسلمين في المغتربات، مع أهمية ذلك في الظروف الراهنة، التي زادت فيها حدة التطرف العنصري واليميني الغربي ضد العرب والمسلمين، وتميزت المناقشات داخل اللجان أو في الجلسات العامة بالسلاسة وغياب الحدة في تناول الموضوعات، باستثناءات محدودة، أبرزها ما جرى عند عرض استقالة المنسق العام السابق عصام العريان.. احتد البعض طالبا الكشف عن الأسباب الحقيقية وراء الاستقالة، تحت تصور وجود أسباب معلنة غير أسباب أخرى محجوبة تقف وراء هذه الاستقالة أو الإقالة، حسب وصف البعض. وحسم الأمر بعد أن تلا رئيس المؤتمر، محمد المسفر، نص الاستقالة. وبعد اتصال هاتفي من المنسق العام المستقيل يطلب فيه قبولها. بسبب ظروف حالت دون قيامه بمهامه الموكولة إليه، ومن المعروف أن العريان خضع لعمليات اعتقال متكررة ومُنع من السفر لحضور المؤتمر. ومرت عملية اختيار المنسق العام البديل بيسر، إلى حد كبير، رغم عملية شد تقليدية جرت بين اتجاهين، أحدهما يقول بالتوافق والتراضي على مرشح واحد، يعلن كمنسق عام بالإجماع، والثاني يرى الاختيار بين أكثر من مرشح، لترسيخ التقاليد الديمقراطية، وكان القيادي الإسلامي الأردني عبد اللطيف عربيات قد تقدم للترشيح لموقع المنسق العام الشاغر، لكن الزعيم الإسلامي التونسي راشد الغنوشي، والشخصية العراقية البارزة خير الدين حسيب، رشحا الباحث والكاتب الفلسطيني منير شفيق، وعلى إثر ذلك سحب عربيات ترشيحه، ليشغل شفيق الموقع بالتزكية.

وعلى الرغم من أهمية القضايا التي عرضت في الجلسات الرسمية وداخل اللجان إلا أن هناك قضايا لا تقل أهمية دارت على الهامش، خارج اللجان وبعيدا عن الجلسات العامة، بين ممثلي جماعات وقوى وتنظيمات وأحزاب مشاركة، ومن أمثلتها ما دار بشأن العلاقات العربية الإيرانية، وبالخصوص فيما يتعلق بالعراق، ووصلت الفجوة درجة عالية بين طرحين، أحدهما ينظر إلى إيران كقوة إمبريالية ذات أطماع، ويطالب بالتصدي لها بنفس مستوى مقاومة المشروع الصهيو أنكلو ـ أمريكي، والآخر يضعه في مستوى الخلاف السياسي، الذي يمكن تسويته بالتفاوض والحوار، وليس الحرب أو العنف، وبعد جدل ساخن تغلبت النظرة الثانية، وانعكس ذلك على البيان الختامي وقرارات وتوصيات المؤتمر النهائية.

وكانت هناك إشكالية لها علاقة بالساحة العراقية أيضا، تدور حول العلاقة بالتيار الصدري، والموقف من مقتدى الصدر، فقد أشارت شخصية قومية عربية عراقية، خارج القاعات، إلى أهمية تفهم المؤتمرين لهذه الإشكالية، لأن الصدر، وفقا لهذا الرأي، تبرأ من فرق الموت وأدان عمليات الإعدام الجماعية، والقتل على الهوية، ورفض الاحتلال، ودائم الإلحاح على خروج قواته، وتحديد جدول زمني لها، على الرغم من اشتراكه في «العملية السياسية». ولم يكن لهذه النظرة تأثير كبير على البيان الختامي، ولا قرارات أو توصيات اللجان، وكانت هناك لقاءات وحوارات كان خالد مشعل (حماس)، ورمضان عبد الله شلح (الجهاد الإسلامي)، وماهر الطاهر (الجبهة الشعبية)، وفضل شرورو (القيادة العامة)، كان كل منهم طرفا فيها. بجانب أن الأمانة العامة، للمؤتمر القومي العربي، عقدت جلسة خاصة للبحث في إجراءات دور الانعقاد القادم للمؤتمر، ودراسة الدعوات المقدمة من بعض الدول العربية، واختيار إحداها مكانا للانعقاد.

وكل من حضر المؤتمر، أو تابع جلساته في «قناة الجزيرة»، شعر بأن حضور الأب عطا الله حنا، مطران الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية بالقدس، وعضو المؤتمر القومي العربي، الذي استمر ممنوعا من الخروج لعدة سنوات، بقرار من سلطات الاستيطان الصهيونية بأن حضوره أضفى على أعمال المؤتمر حيوية كبيرة، وكان لكلمته التي ألقيت في الجلسة الختامية أثر بالغ، بما تضمنت من حض على التآخي، ووقوف المسلمين والمسيحيين صفا واحدا في الدفاع عن القدس، والقضايا القومية والمصيرية، التي تواجه الأمة، معلنا رفضه التطاول على الإسلام، واتهامه بدعم الإرهاب في محاولة للإساءة للإسلام، وقال إن من يسيء للإسلام لا يحق له أن يتكلم باسم المسيحية، ومن يدافع عن الإسلام يدافع عن هذه الأمة، وجاء ذلك في معرض إعلانه تجديد «العهدة العمرية»، التي وقعت بين الخليفة، الفاروق عمر بن الخطاب والبطريرك صفرونيوس مطران القدس، إبان الفتح الإسلامي، وأهدى في ختام الكلمة وسام القبر المقدس للشيخ يوسف القرضاوي، رئيس لجنة القدس، ورئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر، وتميزت الدورة السادسة للمؤتمر القومي الإسلامي بحضور رموز من كافة المذاهب الإسلامية.. سنة وشيعة، وغيرها. وطوائف مسيحية، أرثوذكسية وكاثوليكية، وأعراق عربية وكردية وأمازيغ، من بين المفكرين والساسة ورجال الدين المشاركين.

أما البيان الختامي فقد جاء منسجما مع التوجه العام للمؤتمر.. فهو دعا للتصدي للمشروع الصهيو أنكلو ـ أمريكي، والثبات في مواقع الصمود والتصدي، والتمسك بسلاح الوحدة، استنادا إلى الانتصارات التي حققتها المقاومة العراقية، والانتفاضة الفلسطينية وتمكنها من طرد الاحتلال، والمقاومة في لبنان وقدرتها على إذلال الجيش الصهيوني، وتناول البيان الانقسام في لبنان باعتباره انقساما سياسيا، يمكن معالجته وفق الآليات الدستورية، وثوابت الوفاق الوطني، المؤكدة لسيادة لبنان التامة وعروبته واستقلاله، ورفض القرارات والتدخلات الدولية والإقليمية، التي تمس سيادته وحقه المشروع في المقاومة المسلحة لطرد الاحتلال، والدعوة إلى علاقات طيبة بين لبنان وسورية، واحترام سيادة كل منهما، ودعوة الدول العربية والإسلامية إلى القيام بدورها، في معالجة الوضع المتوتر في لبنان، واعتبر المؤتمر أن دعم القضية الفلسطينية واجب قومي عربي وديني، إسلامي مسيحي، واحترام خيارات الشعب الفلسطيني، ومواصلة الحوار بين الفصائل الفلسطينية، وطنية وإسلامية، للوصول إلى تفاهمات مطلوبة، حول الجدوى من إنتخابات نيابية مبكرة، وتشكيل حكومة الوحدة الوطنية، على قاعدة الالتزام بوثيقة الاتفاق الوطني.

وأكد البيان رفضه للاحتلال الأنكلو ـ أمريكي للعراق، وكل ما نتج عنه من عملية سياسية، ورفض التدخلات الدولية والإقليمية، ومحاولات التقسيم القسري، وطالب بسحب الاعتراف الدولي من الحكومة العراقية الحالية، المشكّلة في ظل الاحتلال، مع الدعوة إلى توحيد المعارضة العراقية وصياغة برنامج وطني مقاوم، تتبناه القوى السياسية الوطنية، مشددا على تحريم الدم العراقي، وإدانة العمليات الإرهابية، الموجهة إلى الشعب، بجانب توصيات تتعلق بدارفور، ومشاكل المغرب العربي، وأخرى عن سبل تقوية أواصر العلاقة بين القوميين والإسلاميين، وعن قضايا الديمقراطية والحريات.

لم يشهد المؤتمر سلبيات حادة، رغم اختلاف منطلقات التيارين المشاركين، اللهم إلا عدم وجود الوقت الكافي لعرض «تقرير حال الأمة»، فلم يتل على المؤتمر، ولم تتم مناقشته تبعا لذلك، أو ذلك المظهر الملفت، لعدد الحراس والموافقين لقادة حماس والجهاد الإسلامي، داخل الفندق أو على أبواب القاعات. وتبقى الانطباعة الأخيرة، التي خرج بها أغلب المشاركين، عن الدور المتنامي الذي بدأت تلعبه دولة قطر، على صعيد عقد الاجتماعات والمؤتمرات، وإقامة المهرجانات الفنية والمسابقات الرياضية، الإقليمية والدولية، بشكل متميز وبكفاءة عالية.

* كاتب من مصر يقيم في لندن

ستبقى روح المقاومة عصية على فهم الاستسلاميين

هيفاء زنكنة *

■ في تاريخ الشعوب سنوات وأيام تشبه صفحات الكتب ـ المصادر الثمينة. كتب لا تنتهي قيمتها عند الانتهاء من القراءة بل يتم الاحتفاظ بها ذخيرة للابناء وابناء الابناء. كل سطر يمثل درسا وكل صفحة تمثل معينا لا ينضب لنقل المعرفة والتجربة. في تاريخ الشعب العراقي هناك سنوات تحمل في ايامها جوهر ذاكرتنا وهويتنا ووجودنا ومقياس مستقبلنا. انها: سنوات ثورة العشرين عام 1920 ضد الاحتلال البريطاني والمحافظة على الوحدة الوطنية، ثورة 14 تموز (يوليو) عام 1958 ضد معاهدات واحلاف الاستعمار والملكية التي نصبها الاحتلال، وسنوات التضامن مع حرب التحرير الجزائرية والثورة الفلسطينية كمحطات انسانية مضيئة. كل كلمة وحرف في أيام السنين المذكورة حفرت في ذاكرتنا عميقا لتصبح جزءا منا ونصبح جزءا منها. وكلها بلا استثناء تصب في نسق تاريخي واحد تنمو فيه انسانية الفرد وتزدهر بفعل روح المقاومة ضد الاستعمار والاحتلال والاستغلال، من اجل الاستقلال والحرية والعدالة. هل هناك ما هو أثمن واغلى من هذه المطالب في تاريخ أي شعب كان؟

ان سلوك مستخدمي الاحتلال الخانعين يدل على ان الجواب بالنسبة اليهم هو الإيجاب على الرغم من وجود مستويات متعددة من درجات العبودية بينهم. لقد قاموا، جميعا، بتبرير اعتداءات وانتهاكات وجرائم الاحتلال تحت شعار القبول بالامر الواقع بعد ان تلاشى شعار تقاطع المصالح الذي قاموا بتبنيه قبل الشروع بغزو وتدمير بلدهم. وهو سلوك فريد من نوعه. اذ استخدموا حجة اسقاط النظام السابق لمنح الادارة الامريكية المبرر الاخلاقي لغزو بلدهم، مما يجعلنا نذكر بان مواطني جنوب افريقيا السود، وهم غالبية السكان، على الرغم من اخضاعهم للتعسف والتمييز العنصري المقيت من قبل الاقلية البيضاء وعلى مدى عشرات السنين وبشكل مذابح وحجر في اماكن ومدن محددة واعتقالات مهولة، وعلى الرغم من نضالهم المتواصل لم يطلبوا من اية دولة اجنبية ان تقصف وتهدم وتحتل بلادهم وتحوله الى جحيم يومي لا يتحمل البقاء في نيرانه غير من لا يملك خيارا آخر. لذلك، علينا الا ننسى ان جرائم مستخدمي الاحتلال أشد وطأة من جرائم المحتل نفسه. لان المحتل يقوم بتنفيذ ما ينفذه دفاعا عن وطنه ومبادئه وقيمه وسياسته بينما يقوم مستخدم الاحتلال بايذاء اهله واستهداف شعبه ونحر ابناء امته دفاعا عن مصالحه الفردية والحزبية الضيقة المرتبطة عضويا بسياسة المحتل. وهي السياسة التي علمنا التاريخ القريب والبعيد ونضالات الشعوب التحررية، انها لا يمكن ان تكون او تتقاطع مع مصالح الشعب الذي تم احتلال بلده. كما ان من يسوغ للاستعمار وحشيته بدعوى التحرير وتأسيس الديمقراطية ما هو الا قرقوز يحركه سيد العرض وسيتم رميه جانبا كدمية حالما ينتهي العرض.

ان تأسيس الديمقراطية والتغيير الحقيقي لا يتم الا من قبل الشعب نفسه وتبعا لاختياراته الحقيقية ولن يتم بواسطة غزاة لديهم أهدافهم الإستراتيجية التي تبرر ارهاب الناس وترويعهم حتى ولو كانت الدولة الغازية هي منارة الحرية والديمقراطية الأولى في العالم. ألم ير مستخدمو الاحتلال ما فعلته امريكا في الفليبين وفيتنام وامريكا اللاتينية، أم ان رغبة الانتقام من شعبهم قد جعلتهم عميانا صما بكما؟

ولننظر الى ما حدث في الجزائر التي ذاق شعبها الامرين تحت الاستعمار الفرنسي. هل عامل النظام الفرنسي سليل الثورة الديمقراطية الفرنسية، الذي ذاق بدوره مرارة الاحتلال النازي، الشعب الجزائري وفق الاصول الديمقراطية؟ هل تعلم من معاناته المريرة؟ وهل حدث وتقاطعت مصالحه وهو الشعب المتبني للقيم الديمقراطية المعتز بحريته ومساواته مع الشعب الجزائري؟

لنأخذ مثالا بسيطا. ان أحداث 8 أيار/مايو عام 1945 ستساعدنا على توضيح الصورة. فيوم انتصار قوات الحلفاء على النازية، حدثت اضطرابات في مدينة سطيف الجزائرية سببت قتل 21 مستوطنا اوربيا. وتكررت الاضطرابات في الأيام التالية في مدن قالمة وباتنة وبسكرة وخراطة أدت الى مقتل 103 من المستوطنين الأوروبيين. فماذا كان رد المستعمر الفرنسي؟ هل حقق بالحوادث واعتقل من سبب الاضطرابات؟ لقد جاء الرد بشكل عملية قمعية شاملة تميزت بوحشية مذهلة سببت قتل ما بين 8000 و9000 جزائري. هذا هو زيف الموقف الفرنسي الصالح كنموذج استعماري متميز. موقف فرنسا التي كانت تحتفل بانتصار الدول الديمقراطية على دولة امتهنت الابادة الجماعية، أي المانيا، بينما كانت مصرة على استخدام اقسى وسائل القمع العسكري ضد شعب أخضعته منذ أكثر من قرن ولم يكن يطالب، الا باصلاحات لا تمس هيمنة الادارة الاستعمارية.

في الجزائر، احتلت قوات الاحتلال الفرنسية القصبة والمدن الجزائرية وفجرت البيوت بمن فيها من نساء واطفال ورجال، ثم ألقت اللوم على المقاومة الجزائرية لانها لم توفر الحماية للمدنيين أو لأنها إستفزت العقاب الجماعي على السكان. وفي فيتنام رشت الطائرات الامريكية، الاراضي والغابات والقرى بمواد كيمياوية سامة، حيث ما تزال الأمهات الفيتناميات، وبعد اجيال، يلدن أطفالا مشوهين من جرائها، وألقت أمريكا اللوم على المقاومة الفيتنامية لانها تستخدم الغابات للاختباء متناسية بان الفيتكونغ انما يدافعون عن اراضيهم وحقهم في البقاء في وطنهم وانهم لم يذهبوا بجيوشهم ليحتلوا أمريكا. وفي فلسطين تهدم المنازل وتقصف المدن ويتم اغتيال كل من يحتج او يقاوم الاحتلال فيقوم اعلام الاحتلال بوصف فعل المقاومة بالارهاب!

هذه امثلة بسيطة لتطبيق المفهوم الديمقراطي في البلدان المحتلة. وهذا هو سلوك قوات الاحتلال مهما كانت شعاراتها التي ينضوي تحتها مستخدمو الاحتلال من رجال الدين المعممين وحاسرو الرؤوس الليبراليون الى الشيوعيون الذين تخلوا وفق مخاصصة طائفية هزيلة عن اميميتهم ودفاعهم عن (وطن حر وشعب سعيد) وحق الشعب في المقاومة والحرية وحربهم ضد الامبريالية والرأسمالية الى حد دفع المحتل الى وصف سكرتير الحزب الشيوعي بانه (رصيد ثمين لنا) بعد ان اطمأنوا الى انه لا يشكل خطرا على مشروعهم للاحتكار الاقتصادي، حسب شهادة بول بريمر، وربما كتعبير تقني لعلاقة سابقة بررتها الأحداث.

ماذا عن الآن؟ ماذا عن جراح الشعب النازفة وأنينه وبحثه عن الخلاص؟ لقد تبينت المواقف واضحة وضوح شمس بلادنا. برغم الفتنة الطائفية التي يتم إشعالها شهرا بعد شهر، ويتم إخمادها شهرا بعد شهر رغم انجرار البعض اليها من خارج العملاء. لقد وجد المستعمر الفرنسي في بعض الجزائريين عبيدا يخدمونه باخلاص. ووجد المحتل الامريكي في فيتنام الجنوبية حكومة عميلة قاتلت ابناء شعبها من المقاومين للاحتلال مستمدة قوتها من تمديد بقاء جيش الاحتلال واستجداء زيادة القوات الامريكية. وهذا هو ما يحدث في العراق بلا رتوش بلا ذرائع بلا تبريرات. هناك قوات احتلال غاشمة ترتكب الجرائم البشعة ضد أهلنا بمساعدة المستخدمين المحليين من جهة وهناك المقاومة المحاربة للاحتلال المطالبة برحيله لاستعادة حقنا الطبيعي في الاستقلال والحرية وتحقيق العدالة. ان سنوات الاحتلال القاسية بكوابيسها وجرائمها ومجازرها صفحات ستعود اليها، مستقبلا، المرة تلو المرة، لنراجع ونتفحص ونفهم. سننظر الى اللون الرمادي فنفصل مكونيه الاصليين، ما بين الابيض والاسود. لتتبين المواقف ونعيش استقرارا وأمنا نختار فيه وباراداتنا ان نكتب دستورا او وثيقة توافق أو نختار كما هو الحال في بريطانيا التي ليس لديها دستور ان نعيش وفق قوانين نشرعها لنحترمها ونطبقها.

لقد عاد من عاد مع الاحتلال مانحا العصمة للمحتل ليقتل ويعتدي ويغتصب ويحرق. متناسيا بانه ما كان سيجرؤ على الصمت عن هذه الجرائم لو كان في بلدان سادة الاحتلال. انه يعلم جيدا بان سادة الاحتلال لا يتهادنون في حقوق مواطنيهم. الا انهم، ومنذ أقدم العصور يضحون بحياة الاخرين، خاصة ابناء البلدان المحتلة. ألم يقل رئيس الوزراء البريطاني تشرشل مرة: سنقاتل حتى آخر هندي! ألم ينصح الجنود البريطانيين مرة قائلا: لا اريد منكم ان تضحوا بحياتكم من اجل وطنكم، دعوا اولاد الزنا في الجهة الثانية يضحون بحياتهم دفاعا عن وطنهم!

لقد استخدم المحتل مستخدميه من العراقيين دروعا بشرية يحمي بها جنوده وحرابا يغتال بواسطتها اهل العراق. قدم المستخدمون شعبهم ضحية للهمجي المحتل. عرضوا عليه نساءهم. صمتوا على جرائمه. ومددوا له فترة بقائه معصوما محميا مصانا خشية ان يطردوا من بيت السيد الى الحقل. فلا غرابة ان يكرروا مع سادتهم كل فعل مقاومة يستهدف الاحتلال وقواته ومنشأته بانه ارهاب. ولا غرابة ان يبذلوا كل جهودهم بميليشياتهم ومرتزقتهم وفرق موتهم لتشويه صورة المقاومة الباسلة التي كبدت العدو من الخسائر ما جعلته مسعورا في حملات انتقامه كما حدث في سنوات بقائه الاخيرة في فيتنام. ان من جاء مع الاحتلال وفتح الابواب لقوات الغزو سيتعامى وينكر همجية الاحتلال لانه جزء منه وستبقى روح المقاومة عصية على فهمه.

* كاتبة من العراق

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al